



افتتاحية العدد

عماد أدرداك

أستاذ و باحث في التاريخ



صنهاجة ... التاريخ المنسي

يقول ابن خلدون أن صنهاجة من بطون البرانس و قال أن صنهاجة من ولد صنهاج و هو صناك إلا أن العرب عربته و زادت غيه الهاء بين النون و الألف فصار صنهاج. سكن الصنهاجيون أولا الصحراء الكبرى الممتدة من غدامس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، و من جبال درن شمالا إلى أواسط الصحراء الكبرى جنوبا، و لم تكن هذه الأماكن و المواطن تجري بها أنهار دائمة، و كانت قليلة الأمطار، فيتعرض سكانها للمجاعة فيترحلون لطلب الماء و الكأ، ففترقوا حول الواحات الصغيرة في تلك الصحاري الممتدة الأطراف، و كونوا قرى بدائية تتماشى مع ظروف حياتهم الرعوية، و عملوا في الزراعة و خاصة زراعة الشعير الذي ينبت في الأرض الفقيرة و يكفيه القليل من الماء. و نظرا لموقعهم الاستراتيجي، فقد نشطت حركة التجارة بين إفريقيا الغربية و بلاد المغرب و الأندلس بسبب الدور الريادي الذي قامت به قبائل لمتونة و مسوفة و جدالة، و كثرت الأسواق التجارية التي تعرض فيها بضائع بلاد الأندلس و المغرب الأقصى و بلاد السودان، حيث يتم التبادل بالتقايط أو بالذهب و بالفضة، و من أشهر تلك الأسواق: أوغسيت، أغمات، أسيل.

تعتبر قبيلة صنهاجة اسراير، إحدى فروع قبيلة صنهاجة الأمازيغية الكبرى، أهم مكونات الريف الإثني إلى جانب قبيلة غمارة وزناتة، و هي تعاني حاليا جصارا معرفيا إضافة إلى تهيش اقتصادي و سياسي ممنهج. كما يعود استقرارها بالريف إلى حوالي القرن 9 م قادمة من شمال الصحراء الكبرى.

يتكون الأمازيغ من قسمين عظيمين هما البتر و البرانس و لا يعرف مصدر هذا التقسيم، لكن على العموم فالبرانس أكثر تحضرًا من البتر و لكل منهما مميزات في التاريخ و أهم قبائل البتر زناتة و لواتة و مطغرة و من أهم قبائل البرانس صنهاجة و أوربة و مصمودة.

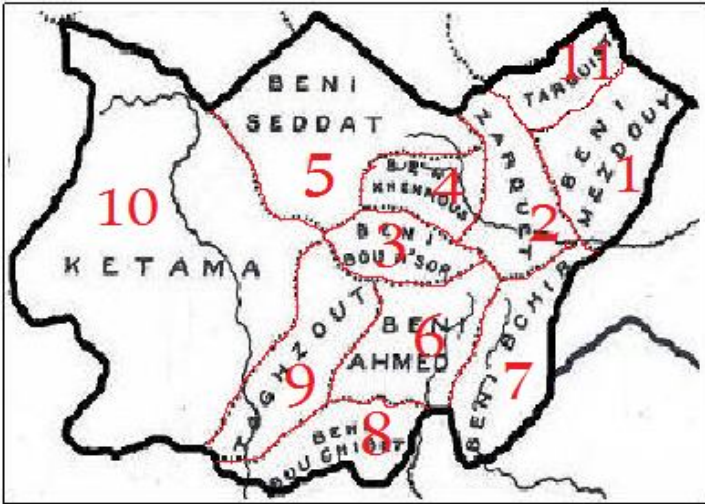
لقد استقرت قبائل صنهاجة في بدايتها شمال الصحراء الكبرى، و بعد وصول الإسلام أصبحوا منتشرين أيضا في بلاد السودان (السينغال و النيجر)، و مثلت شعبا انضوت تحت لوائه أكثر من سبعين قبيلة أمازيغية، من أهم هذه القبائل و أشهرها لمتونة، جدالة، لمطة و مسوفة و هي التي تكونت منها دولة المرابطين السنية، و اشتهرت القبائل الصنهاجية في التاريخ باسم الملثمين.

البلاد. أما من الناحية الفنية، فالمرابطون هم الذين دفعوا الحضارة الأندلسية إلى الأمام، فساد الفن الأندلسي في المغرب، و ظهرت تقاليده واضحة فيما تخلف من آثار المرابطين في المغرب.

لقد بدأت قبائل صنهاجة في الهجرة من الصحراء ابتداء من القرن 9م كما أسلفنا الذكر سابقا، باتجاه الشمال، لأسباب مختلفة، كما تذكر الروايات. فاستقروا بجبال الريف، و في شرق الجزائر (كتامة) و جبال الأطلس، و لعبوا دورا هاما في وصول الفاطميين إلى السلطة و سلالات صنهاجية مثل الزيرون و الحماديون الذين حكموا في أفريقية حتى القرن 12م.

مع غزو قبيلة بني هلال لشمال افريقيا في القرن 11 م، استعربت بعض قبائل صنهاجة تدريجيا، و لم يسلم من هذا التعريب صنهاجة الريف التي تعربت فيها أغلب القبائل الصنهاجية كـ " صنهاجة غدو" و " صنهاجة مصباح" المتواجدين بتازة و تاوانات. و تعتبر صنهاجة اسراير القبيلة الصنهاجية الوحيدة التي لا تزال تتكلم الأمازيغية شمال المغرب رغم وجود مناطق فيها تعربت تماما، و هي تمتد من تارغيسيت شمالا إلى نهر صرا جنوبا، و من آيت مزدوي شرقا إلى كتامة غربا. و تعتبر مدينة تارغيسيت، التي تبعد 70 كلم من الحسيمة، حاضرة القبيلة، و قد كان لها دور فعال في حرب الريف إلى جانب الأمير المجاهد عبد الكريم الخطابي ضد الاستعمار الاسباني.

فيما يخص الطلائع الأولى للفتح الإسلامي للصحراء، فقد قادها حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري و ابنه عبد الرحمان و ذلك في ولاية عبيد بن الحبحاب على شمال افريقيا، و قد أصبحت الصحراء الصنهاجية تابعة للفهريين منذ سنة 127 هجرية. بعد الاضطرابات التي عرفتها دولة الفهريين منذ سنة 140 هجرية، بدأ انفصال الصنهاجيين بدولتهم الخاصة، لكنها ظلت خاضعة للخلافة الإسلامية إلى أن تولى تيولتان بن تلاكاكين الحكم ليعلم القطيعة و يؤسس دولة قائمة بذاتها دانت لها أكثر من عشرين من ملوك السودان، حيث كانوا يدفعون الضرائب. و كان تميم، الذي قتل على أيدي أعيان صنهاجة، آخر ملك صنهاجي، لتدخل بعدها القبائل الصنهاجية في فوضى و انشقاقات دامت حوالي 120 سنة، لم تنته إلا على يد الأمير أبي عبد الله بن تيفاوت، أحد رؤساء لمتونة، ومن بعده صهره يحيى بن ابراهيم الكدالي، الذي يعود له الفضل في تحول هذه القبائل من الإسلام السطحي إلى مذهب أهل السنة على يد الداعية عبد الله بن ياسين. و بذلك لم يتعمق إسلام القوم إلا مع حركة المرابطين التي ستضع ما سيكون المعتقد السني الصحيح في شكله الطبيعي و توحد المجال الديني و الثقافي و السياسي على نحو حاسم. و قد تركت دولة المرابطين، التي لم يتعد عمرها الزمني 100 عام، أثارا جلية في جميع المجالات، و تعدت المآثر الحضارية دولة المرابطين إلى أرجاء أخرى من العالم الإسلامي، و يرجع لهم الفضل في تكوين الوحدة السياسية للمغرب الأقصى. و إلى يوسف بن تاشفين يرجع الفضل في ضم الأراضي المغربية للمرة الأولى في وحدة وثيقة تحت لواء أسرة واحدة، و ستظل هذه الوحدة إلى يومنا هذا. أما من ناحية البناء الاجتماعي و الاقتصادي، فقد كان للمرابطين الفضل في قيام تجمعات عمرانية هامة مثل مكناس و تلمسان و مراكش. و من الناحية الدينية عمل المرابطون على نشر المذهب المالكي في



خريطة قبائل صنهاجة اسراير

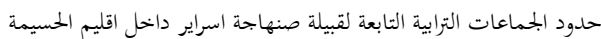
من الناحية الإثنية تتكون صنهاجة اسراير من إحدى عشرة قبيلة أمازيغية هي:

- 1- آيت مزدوي: تتحدث الأمازيغية فقط.
- 2- زرقت: تتحدث غالبية السكان الأمازيغية مع تواجد أقلية تتحدث الدارجة العربية.
- 3- آيت بونصار: يتواجد بها جبل تدغين أعلى قمة بجبال الريف، تتحدث غالبية السكان الأمازيغية مع تواجد أقلية تتحدث الدارجة العربية.
- 4- آيت خنوس: تتحدث غالبية السكان الأمازيغية مع تواجد أقلية تتحدث الدارجة العربية.
- 5- آيت سدات: تتحدث غالبية السكان الأمازيغية مع تواجد أقلية تتحدث الدارجة العربية.
- 6- آيت احمد: تتحدث غالبية السكان الأمازيغية مع تواجد أقلية تتحدث الدارجة العربية.
- 7- آيت بشير: تتحدث غالبية السكان الأمازيغية مع تواجد أقلية تتحدث الدارجة العربية.
- 8- آيت بوشيبث: يتحدث جميع السكان الدارجة العربية الجبلية.
- 9- تغزوت: تتحدث غالبية السكان الأمازيغية مع تواجد أقلية تتحدث الدارجة العربية خصوصا في مدمر تيريرين.
- 10- إكوتامن (كنامة): تتحدث غالبية السكان الدارجة العربية الجبلية مع تواجد سبعة مداشر في سفوح جبل تيدغين حافظت على الأمازيغية و يصل عدد المتحدثين بها زهاء 15000 نسمة.
- 11- تارغيست: يتحدث جميع السكان الدارجة العربية المزيجية بالأمازيغية، مع وجود فرقة تتحدث أمازيغية الريف بمدشر آيت عزا اسمها "إزغاغن". (هناك فرق بين قبيلة تارغيست و مدينة تارغيست، فمدينة تارغيست تتعايش فيها أمازيغية صنهاجة اسراير و أمازيغية الريف و الدارجة العربية المحلية).

تلكم كانت نبذة تاريخية موجزة عن قبيلة صنهاجة، و إحدى فروعها الكبرى صنهاجة اسراير، التي طواها النسيان بمرور الزمن، و كادت تفقد ذاكرتها و هويتها الضاربة في أعماق التاريخ مقارنة مع قبائل أمازيغية أخرى في المغرب. فقد آن الأوان للنهوض بها و تصحيح المغالطات التي التصقت بها، خاصة بعد تغير عدد من المعطيات العلمية و الإيديولوجية، سمحت ب بروز عالم جديد يؤمن بتعدد الثقافات عملا بقوله تعالى في الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات:

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾

لهذا اختارت مجلة "تيدغين"، في انطلاقتها، فتح ملف صنهاجة اسراير: قبائل أمازيغية منسية بجبال الريف، لتسلط الضوء على بقايا أكبر قبيلة أمازيغية و لترفع الحيف عن أناس كانوا سباقين للاستقرار بجبال الريف قبل غيرهم من القبائل الحالية. كما يروم هذا العدد الخاص ليكون مرجعا لكل باحث في ثقافة و لغة صنهاجة اسراير إضافة إلى اقتراحه لآليات تهدف لتنمية هذه المنطقة الغنية بثرواتها و المفقرة اجتماعيا و اقتصاديا و المهمشة ثقافيا.



6